

توضح الموسيقى المبدأ الذي تقوم عليه سائر الفنون الأخرى من حيث أنها حسية في جوهرها ومن أن إمكانيات تأثيرها بتفاوت مداها ما بين التجريدية والعقلية ، والتأثير الذي تحدثه الموسيقى شأنه شأن بقية الفنون الأخرى يتركز كما يتحد ولونها بما فيها من أنغام توافقية وتتوقف حدتها على سعة الذبذبة أما قوامها فيستمد صفته من وضعة النسبي في السلم الموسيقي . ولاشك أن النغمات المتاحة للموسيقيين الغربيين لا حصر لها ، وتؤكد ألوان الموسيقى الحديثة هذه الحقيقة ، غير أن هذه النغمات بدورها تؤدي إلى ضرب التوابقات التي لا حد لها . وقد تكون أنغام الموسيقى مطربة مثل الأصوات القائمة بذاتها في مقاطع الكلمات إلا أن طابع التأثير الموسيقي أكثر اعتماداً ومع تتابع الكلمات منه على أصواتها ، والموسيقى قبل كل شيء فن وقني وتأثيرها يأتي من تتابع أنغامها ، وكل نغمة منها تحدد صفة التأثير الجمالي للنغمة التي تليها ، فإن قدر كبيراً من أحاسيسنا مرجعه في الأغلب إلى الذكريات وفي الموسيقى تتأثر النغمة الشعورية لأى صوت تأثراً بالغاً بالسياق النغمي الذي تظهر فيه والنغمات ذاتها مثل الألوان قد تكون حادة أو لاذعة أو حلوة أو هادئة أو مرتفعة وكل ذلك بغض النظر عن علاقاتها ولكل نوع من أنواع النغم ، بل نكل لون من ألوانه علاقات عصبية خاصة، وفضلاً عن ذلك فالنغمات شائها في ذلك شأن الأحاسيس الأخرى تثير خواطر وذكريات وبعض الأنعام كأنعام التغيير توحى بالحرب والبعض الآخر مثل أنغام الكمان والناي توحى بجو ومشاعر الرقة على أن التأثيرات النامية المنفصلة لأنغام عرضية بالنسبة لدورها في تلك العملية الإيقاعية اللحنية التي تعبر عنها بالتأليف الموسيقي وما للحن سوى توند وتزى منابع موقوت بزمان اما الصوت فهو الذي يعرض توقعاً موسيقياً ما ليحققه الامتداد اللحني ، وما البناء المحكم الشامل المعظم التأليف الموسيقي المعقد سوى عملية تعقيد الامتداد اللعني للأصوات في طبقة ونغمات ذات علاقات متناسقة فيما بينها .